أثر المفارقة في تشكيل مشاهد المحاكمات في المسرح الشعري المعاصر في مصر

بحث مستل من رسالة ماجستير إعداد المعلم في الآداب
تخصص لغة عربية بعنوان

(المحاكمة في المسرح الشعري المعاصر في مصر)
(دراسة تحليلية نقدية في نماذج مختارة)

إعداد الباحثة /
إسراء زكريا علي علي عامر
إشراف

أ.د. عبد المرضي زكريا
أستاذ الأدب الحديث
بكلية التربية – جامعة عين شمس

أ.د. سها عبد الستار السطوحي
أستاذ الأدب والنقد
بكلية التربية – جامعة عين شمس

أ.د. وائل علي السيد
أستاذ الأدب والنقد
بكلية التربية – جامعة عين شمس

الملخص:

يتناول هذا البحث أثر المفارقة في تشكيل شخصيات المحاكمات في المسرح الشعري المعاصر في مصر، من خلال التطبيق على نماذج من النصوص المسرحية المختارة، وقد استعرضت الباحثة مفهوم المفارقة وعناصرها وأنماطها في المسرح الشعري المعاصر من خلال تطبيق المنهج التحليلي النقدي والوصفي، وبالتأمل في نماذج النصوص المسرحية المختارة نجد أن أنماط المفارقة تمثلت في (المفارقة اللفظية – مفارقة الموقف – مفارقة الشخصيات – المفارقة التصويرية) ومن خلالها استطاع المبدعون إسقاط رؤاهم الإبداعية على الواقع المعيش وإبراز ما به قضايا وهموم اجتماعية وسياسية .

الكلمات المفتاحية :

المفارقة - عناصر المفارقة - أنماط المفارقة وأثرها في تشكيل الشخصيات

Summary:

This research deals with the effect of irony in shaping the characters of trails in contemporary poetic theatre in Egypt, through application on models of selected theatrical texts, the research dealt with the concept of irony, its elements and patterns in contemporary poetic theatre through applying the analytical, critical and descriptive method, by contemplating the models of selected theatrical texts, we find that the patterns of irony were represented in (verbal irony – situational irony – character irony – pictorial irony) and through them, the creators were able to project their creative visions onto the lived reality and highlight its social and political issues and concerns .

Keywords:

1. Irony
2. Elements of paradox
3. Patterns of irony and their impact on shaping characters

أثر المفارقة في تشكيل مشاهد المحاكمات في المسرح الشعري المعاصر في مصر

بحث مستل من رسالة ماجستير إعداد المعلم في الآداب
تخصص لغة عربية بعنوان

(المحاكمة في المسرح الشعري المعاصر في مصر)
(دراسة تحليلية نقدية في نماذج مختارة)

إعداد الباحثة /
إسراء زكريا علي علي عامر
إشراف

أ.د. عبد المرضي زكريا
أستاذ الأدب الحديث
بكلية التربية – جامعة عين شمس

أ.د. سها عبد الستار السطوحي
أستاذ الأدب والنقد
بكلية التربية – جامعة عين شمس

أ.د. وائل علي السيد
أستاذ الأدب والنقد

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وبعد .

يعد فن المسرح انعكاسًا حيًّا للواقع المعيش وتعبيرًا عن قضايا المجتمع وهمومه بكل تجلياته الإيجابية والسلبية، كما يعد الميدان الأوسع الذي يستخدمه الكتَّاب للتعبير عن وجهات نظرهم فيما يحيط بهم من خلال توظيفها فنيا وأدبيا، ووسط تفشي الفساد والجور في صفوف السلطة والقضاء في الآونة الأخيرة لم يجد الكتَّاب سوى التعبير بطريقة غير مباشرة عن تلك القضايا والهموم، إذ اتخذ الكتاب من تقنية المفارقة وغيرها ستارًا يتخفون وراءه ويعبرون من خلاله بكل حرية عما يجول بأفكارهم من رؤى بشكل يحدث معه تأثيرا عميقا على المتلقي .

فالمفارقة تحتوي معاني متناقضة من شأنها أن تتجمع في المقطع الشعري بالنص المسرحي، وتحدث صدى لدى المتلقي يتبعه تَلَمُّسه للمعنى المرجو المخبوء بالنص، مما يجعله أكثر استمتاعا بتذوقه لجماليات النص، فمن خلال المفارقة أيضا يستطيع الكتَّاب إحكام قبضتهم وتأثيرهم القوي على المتلقي بما يرمونه من قضايا سياسية واجتماعية وغيرها.

وكلما اشتدت حدية المفارقة والتناقضية بالنص الأدبي، كلما تبيّنت وتبدَّت براعة الأديب في إخراج عمله الأدبي بجودة فنية عالية .

وقد انصب جلّ اهتمام الأدباء المعاصرين على تضمين نصوصهم الإبداعية قضايا اجتماعية وسياسية ذات صلة بالسلطة والحكم لا سيما القضاء، ومن أبرز الكتّاب الذين نحجوا في التعبير عن تلك القضايا وضمنوها بنصوصهم عز الدين إسماعيل، وصلاح عبد الصبور وعبد الرحمن الشرقاوي وأنس داود وغيرهم؛ ولذلك تكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على كيفية توظيف الكتّاب تقنية المفارقة وأثرها في تشكيل مشهد المحاكمة بكافة عناصره، وتبين ماهية العلاقة بين المتهم بعناصر القضاء، وكذلك علاقة القضاء بالنظام والسلطة .

فالمفارقة ما هي إلا حلية نقدية تساعد على استظهار كوامن الشخصيات وإبراز ما بها من تناقضات، مما يسهم في الكشف عن كيفية بناء المبدعين لتلك الشخصيات وتعريتها بشكل متكامل أمام المتلقي .

التعريف بموضوع البحث :

يضم هذا البحث شقين : الأول : النظري ومن خلاله يتم عرض مفهوم المفارقة لغة واصطلاحًا وعناصرها بطريقة موجزة نظرا لتناول الكثير من الدراسات الأخرى مصطلح المفارقة وتاريخ تطوره بالتفصيل، والثاني : هو الشق التطبيقي وفيه بيان أنماط المفارقة مع تحليل تلك الحلية النقدية وأثرها في استجلاء وتشكيل عناصر القضاء والمحاكمات التي تتمثل في (المتهم – القضاة – المدعي – المحامي – الشهود) وغيرهم، وإبراز ذروة التناقض في أفكار وأفعال ومبادئ تلك الشخصيات بالتطبيق على نماذج مختارة من النصوص المسرحية .

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذه الدراسة في كونها واحدة من الدراسات القليلة في المسرح الشعري التي تبرز دور المفارقة في بناء الأعمال الإبداعية للمبدعين، كما أنها تسعى للتعرف على:

١. ما المقصود بمصطلح المفارقة وما عناصرها في النص المسرحي ؟
٢. ما الأنماط الأساسية للمفارقة التي يوظفها المبدعون بمشاهد المحاكمات في النصوص المسرحية بكثرة ؟
٣. ما أثر المفارقة في بناء شخصيات المحاكمات بالنصوص المسرحية بمصر؟
٤. هل توظيف المبدعين للشخصيات التاريخية أفاد النصوص المسرحية محل الدراسة ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها :

١. إبراز دور المفارقة وأهميتها في النصوص المسرحية .
٢. تحليل مدى براعة الكتاب المصريين في نقل أفكارهم ورؤاهم النقدية للواقع من خلال المفارقة .
٣. التعرف على كيفية توظيف الكتّاب والمبدعين تقنية المفارقة لإبراز عناصر القضاء ضمن نصوصهم .
٤. التعرف على أنماط المفارقة التي وظفها الكتّاب وأثرها في تشكيل مشاهد المحاكمات بالنصوص المسرحية .

حدود البحث :

أولا : زمانيًّا : اخترت المسرح الشعري المعاصر أي المكتوب بـ (الشعر الحر) الذي ظهر في مصر من منتصف القرن العشرين إلى الآن، وذلك يشمل جميع النصوص المسرحية التي تتناولها الدراسة (١٩٦٢م – ٢٠١٤م).

ثانيا : مكانيًّا : مصر

ثالثا : موضوعيًّا : دراسة أثر المفارقة في المسرح الشعري المعاصر في مصر من خلال نماذج مختارة تتمثل في : (مأساة جميلة – مأساة الحلاج – محاكمة رجل مجهول – سندباد – محاكمة المتنبي – شهريار – دماء على ستار الكعبة – محاكمة زرقاء اليمامة – ضمير الغائب – محاكمة الزائر الغريب – الليلة الأولى بعد الألف – الجنرال)

رابعا : السبب : كثرة تناول الكتّاب لمشهد المحاكمة ضمن نصوصهم المسرحية، بل إن هناك نصوصا مسرحية كاملة كانت قائمة على تناول مشهد المحاكمة في الفترة محل الدراسة .

الدراسات السابقة :

- أماني محمد سعد في رسالتها للدكتوراه بعنوان (صورة الحاكم في المسرح الشعري)، بكلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٧م.
- بشرى خليل عبد الرحمن سلامة، المفارقة في مسرح توفيق الحكيم المُنَوّع، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، ٢٠١٧م .
- سعيد شوقي، بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، إيتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م .
- عبد التواب محمود عبد اللطيف، المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٥م .

منهج الدراسة :

أتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف ظاهرة المفارقة وعناصرها وأنماطها واستقرائها وتحليلها ومن ثم استخلاص النتائج المرجوة .

أقسام البحث :

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد يشمل (الإطار النظري للمفارقة) وأربعة مطالب وخاتمة تشمل النتائج .

وتشمل المقدمة : (التعريف بموضوع البحث والمنهج المتبع والدراسات السابقة عليه وخطة الدراسة) .

وقد جاءت مطالب الدراسة متمثلة في أنماط المفارقة على النحو الآتي :

المطلب الأول : المفارقة اللفظية

المطلب الثاني : مفارقة الموقف

المطلب الثالث : مفارقة الشخصيات

المطلب الرابع : المفارقة التصويرية

الخاتمة : وبها أهم النتائج التي تم التوصل إليها البحث

مفهوم المفارقة (irony)

مقدمة :

تعد المفارقة واحدة من الحلى والتقنيات النقدية المهمة التي حرص الدارسون والأدباء على الاستعانة بها خلال أعمالهم الأدبية ولا سيما في المسرح الشعري، نظرا لإسهامها في الكشف عن جودة العمل الأدبي وجمالياته، وإماطة اللثام عما يرغب الأديب إيصاله من قضايا مجتمعه والتعبير عنها، فالمفارقة **"في كثير من الأحيان تراوغ الرقابة بأنها تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قولا مغايرًا له "** [١] .

ولذا لجأ كتاب المسرح الشعري إلى استخدامها كقناع يقدمون به ما يجول بفكرهم من رؤى نقدية لواقعهم، ومن خلالها تمكنوا من نقل ما آلت إليه أحوال القضاء في المجتمع .

ومشهد المحاكمة في المسرح الشعري من المشاهد الثرية بالدلالات الفنية، وخاصة شخصيات القضاة والشهود والمحامين، فهي شخصيات تتسم بالتناقضات الاجتماعية والسياسية والنفسية؛ وبخاصة النموذج السلبي منهم فقد تناوله الكتّاب فنيًّا بشكل كبير في النصوص المسرحية في الفترة التي عرضت لها الدراسة، وذلك من أجل كشف النقاب عن زيف القضاء الجائر، وتبيّن مثالب الواقع المحيط في محاولة لتقديم حلولا لمعالجة تفشي تلك القضايا بالواقع، وبالمقابل إبراز النموذج الإيجابي لعناصر القضاء العادلة .

[١] سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثاني، العدد ٢، يناير – مارس، ١٩٨٢ م، ١٤٣ .

تمهيد :

يعرف ابن منظور (المفارقة) في لسان العرب بـأن **"الْفَرْقُ : خِلافُ الْجَمْع، فَرَقَهُ يَفْرُقُهُ فَرْقًا،... , وَالتَّفَرُّقُ والافْتِراقُ سَواءٌ؛ ومِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ التَّفَرّقَ لِلأَبدانِ وَالافْتِراقَ في الْكَلامِ؛ يُقَالُ فَرَقْتُ بَيْنَ الْكَلامَيْنِ فَافْتَرقَا، وَفَرَّقْتُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَتَفَرَّقا،... ، وفارقَ الشَّيْءَ مُفَارَقَةً وفِرَاقًا : بايَنَهُ، وَالاسْمُ الْفُرْقَةُ . وتَفَارَقَ الْقَوْمُ : فارَطَ بَعْضُهُمُ بَعْضًا . وفَارَقَ فُلانٌ امْرَأَتَهُ مُفَارَقَةً وفِرَاقًا : بايَنَها ."** [٢]

ويتفق مع المعنى السابق ما ذكر في معجم مقاييس اللغة للجذر (فرق) **"الفاء والراء والقاف أُصَيلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمييز وتزييلٍ بين شيئين . من ذلك الفَرْق : فرق الشعر . يقال : فرَقْتُه فَرقًا . والفِرْق : القطيع من الغَنَم . والفِرْق : الفِلْق من الشَّيء إذا انفَلَق، قال الله تعالى : ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّودِ العَظِيم ﴾[٣]"** [٤].

وكذلك وردت في معجم اللغة العربية المعاصر تحمل نفس المعنى من الجذر **"فارقَ يفارق، مُفارقةً وفِرَاقًا، فهو مُفارِق، والمفعول مُفارَق . فارقَ فلانًا : ابتعد عنه، باعده، انفصل عنه وتركه، فارق أصدقاء السوء – فارق أهله بالسفر إلى الخارج - ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [5] - ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾[٦]- ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾[٧] : مفارقة الدُّنيا بالموت – فارق الحياة/ فارقته نَفْسُه : مات . تجاوزه : فارق طور الطفولة "**[٨]

---

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١ه)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ٥/ ٣٣٩٧ ،٣٣٩٨

[٣] سورة الشعراء، الآية رقم (٦٣)

[٤] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ت(عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ٤ / ٤٩٣،٤٩٤

[5] سورة الطلاق، الآية رقم (٢)

[٦] سورة الكهف، الآية رقم (٧٨)

[٧] سورة القيامة، الآية رقم (٢٨)

[٨] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١(١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)،عالم الكتب،٣/ ١٦٩٨

ومن خلال عرض ما سبق من تعريفات للمفارقة في بعض المعاجم القديمة والحديثة، نرى أن جميعها تتفق في أن المعنى اللغوي لكلمة (المفارقة) لا يحيد عن معاني التمايز والتباين والفرقة والتباعد .

أما أصطلاحا : فبالنظر للمفارقة في الاصطلاح نجد أنها اتسمت بالتفاوت والغموض بين الباحثين، حيث كان من الصعب عليهم تحديد مصطلح شامل لها، فكلمة **"مفارقة لا تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور سابقة، ولا تعني في قطر بعينه كل ما يمكن أن تعنيه في قطر آخر، ولا في الشارع ما يمكن أن تعنيه في المكتب، ولا عند باحث ما يمكن أن تعنيه عند باحث آخر "** [9].

وطبقا لذلك يمكننا القول بأن المفارقة لم تتشكل بأشكال مختلفة فقط بل إنها تطورت بشكل مستمر كمفهوم، **"فقد كانت (المفارقة) في القرن السادس عشر لا تزيد على كونها صيغة بلاغية، ولا يعني ذلك أن ما ندعوه اليوم مفارقة لم يكن يجري تداوله أو الاستجابة إليه، بل يعني ذلك أن ذلك لم يكتسب اسمًا في وقته. لكن المفارقة اليوم (تعني) أشياء شتى إلى أناس شتى "**[١٠].

وبالتطرق لها يبدو أن الوصول إلى تعريف جامع مانع لها أمر صعب، وليس مرد الأمر إلى التباين حول تحديد تعريف، ولا إلى قلة التعريفات، وإنما يرتبط هذا الأمر بالعمر المديد لهذا المصطلح، وما مر به من مراحل عدة، وطرأت عليه تطورات كثيرة وهو ما يجعل من الصعوبة بمكان الاكتفاء بتعريف واحد ومحدد لها [١١].

ونظرا لأن العديد من الدراسات تناولت مفهوم المفارقة وتتبعت ما طرأ عليه من تطور دلالي، وأبرزت مصطلح المفارقة في النقد الأدبي العربي (القديم والحديث)

---

[9] سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها)، ترجمة / د.عبد الواحد لؤلؤة، المجلد الرابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٢٩ .

[١٠] نبيلة إبراهيم، المفارقة، ت (١سبتمبر ١٩٨٧م)، رقم العدد (٣-٤)، ص ٢١.

[١١] انظر (بتصرف) : ناصر يوسف إبراهيم، المفارقة في الشعر العربي الحديث (محمود درويش، أمل دنقل، سعدي يوسف نموذجا)، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م، ص ١٢ .

والغربي، سنكتفي بذكر بعض من تلك التعريفات من أجل الاستنتاج من خلالها المفهوم العام لهذا المصطلح .

فنجد د/ سي ميويك يشير إلى المفارقة بأنها **"صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنى المضاد "**[١٢]، كما يرى أن المفارقة تعد أخف درجة من الهزل والسخرية كما أنها تختلف عنهما في أن وقعها وأثرها على المتلقي يكون أثرًا كبيرًا وذلك بسبب أسلوبها غير المباشر، ولذلك فإدراكها يتطلب حرفية وذكاء وحسًا مرهفًا، وتتصف المفارقة غالبًا باستخدام عبارات المدح لتفيد الذم، والعكس من ذلك أقل ورودًا [١٣].

وتعرف د/ سيزا قاسم المفارقة بأنها **"استراتيجية قول نقدي ساخر؛ وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية "**[١٤]، وترى أيضا أن المفارقة هي طريقة يستخدمها الكتّاب ويوظفونها لخداع الرقابة، إذ إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة[١٥].

ويتفق د/ محمد العبد مع المفهوم السابق في أن المفارقة هي **"صيغة من التعبير، تفترض من المخاطب ازدواجية الاستماع double audience بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيا يكمن فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه يدرك أن هذا المنطوق utterance - في هذا السياق بالذات – لا يصلح معه أن يؤخذ على قيمته السطحية . ويعني ذلك، أن هذا المنطوق، يرمي إلى معنى آخر "**[١٦] .

---

[١٢] نبيلة إبراهيم، المفارقة، المرجع نفسه، ص٢٥٨ .
[١٣] انظر (بتصرف) : نبيلة إبراهيم، نفسه، ص٢٥٨ .
[١٤] سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٤٣.
[١٥] انظر (بتصرف) : سيزا قاسم، المرجع نفسه، ص ١٤٣.
[١٦] محمد العبد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، ط١(١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) دار الفكر العربي، ص١٥ .

وتعبر د/ نبيلة إبراهيم عن المفارقة متفقة مع المفهوم السابق بأن المفارقة **"لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين : صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القاريء وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالبًا ما يكون المعنى الضد . وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقاريء بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقر عنده"**[١٧].

ومن خلال عرض المفاهيم السابقة يمكن تقديم مفهوم أكثر شمولا للمفارقة بأنها **"انفعال لغوي، من شأنه أن يُقيم تناقضًا إيجابيًا، أي جمع نقيضين، يؤديان إلى غرض مقبول، وأن يكون ذلك الانفعال اللغوي قابلًا للتفسير والتأويل والرمز، فيحدث تفاعلًا لدى المتلقي، بوصفه المُفسرِ والمُؤول والمُفكّرِ لنص (المفارقة) "** [١٨] .

ومن هنا يتبين أنه على الرغم تعدد تلك التعريفات السابقة للمفارقة إلا أنها تصب في قالب واحد، وهو أن المفارقة قائمة ببنيتها على ثنائية الدلالة، إذ إنها تمنح اللغة معنى في حين توجه القارئ إلى نقيض للمعنى، بيد أنها بذلك تتطلب من الكاتب حرفية مميزة ببنائها، بالإضافة إلى براعة المتلقي في استنتاج المغزي الحقيقي من النص بعد إعادة صياغة دلالته .

عناصر المفارقة :

وترى د/ نبيلة إبراهيم أن المفارقة تتحدد وفق أربعة عناصر هي :

١. **وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد؛ المستوى السطحي للكلام على نحو ما يعبر به؛ والمستوى الكامن الذي لم يعبر عنه، والذي يلح القارئ على اكتشافه إثر إحساسه بتضارب الكلام**
٢. **لا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص .**

[١٧] نبيلة إبراهيم، المفارقة، مرجع سابق، ص ١٣٢ .
[١٨] الهاشمي، أثير محسن. (٢٠١٣). آلية المفارقة : تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها. مجلة ثقافتنا، ع١٢، ٥٠.

٣. غالبًا ما ترتبط المفارقة بالتظاهر بالبراءة، وقد يصل الأمر إلى حد التظاهر بالسذاجة أو الغفلة .

٤. لابد من وجود ضحية في المفارقة. [١٩]

وأما عن هدف المفارقة فهو **"هدف معرفي انفعالي تأثري من خلال اكتشاف المتلقي للحقيقة، أو لنقل : اصطدامه بها في صورة شعرية ترسمها لغة ثرية للشاعر يكشف من خلالها علاقات جديدة متشابكة تشي بمدلولات صادمة "** [٢٠].

وخلاصة القول فيما سبق أن المفارقة تُبنى على الازدواجية الدلالية القائمة بين المعنى المباشر والواضح والمعني غير المباشر الخفى الذي يرجوه كاتب العمل، فهي تحفز القارئ إلى بذل جل جهده للوصول إلى المعنى المخبأ في طيات المعاني وإدراك التمايز بينها .

ومن ثم فإن المتلقي يصبح مشاركا في إخراج الدلالة للنص مع كاتبه، وذلك حين يربط نفسه بالآخر، بما عنده من محتوى دلالي، يود أن يقيم به اتصالا، كما أنه مطالب بأن يفقه السياق، ويقف على الدور الذي يلعبه في إنتاج المنطوقات المفارقية وفهمها، وأن يتوصل إلى معنى المنطوق، بالمرور خلال معنى الجملة؛ ثم إنه يعود عودة مزدوجة إلى نقيض معنى الجملة؛ لكي يعيد للمنطوق الحرفي ملاءمته للموقف [٢١].

وقد يُبنى النص المسرحي كاملا على المفارقة، وقد يسوقها المبدع في ثنايا نصه، كما تتعدد أنماطها داخل النص المسرحي الشعري وفقا لما تشيره من دلالة، فمنها ما يرتبط باللفظ ومنها ما يتناول الموقف بما يحتويه من شخصيات وأحداث، ولذلك سيُعنى هذا المبحث بإبراز أثر المفارقة في رسم شخصيات المحاكمات وتشكيل عناصرها، وإدراك ما يخبئه النص المسرحي ويحتويه من دلالات .

---

[١٩] انظر (بتصرف) : د/ نبيلة إبراهيم، المفارقة، مرجع سابق، ص ١٣٣ .

[٢٠] محمد عثمان الخشت، الشاعر حامد طاهر بأقلام هؤلاء، تصدير / عبد المنعم تليمه،مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٤٤ .

[٢١] انظر (بتصرف) : محمد العبد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مرجع سابق، ص ٣٦ .

أولا : المفارقة اللفظية :

يقصد بالمفارقة اللفظية في أبسط تعريف لها بأنها **"هي شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما، في حين يُقصد منه معنى آخر، غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي الظاهر "** [٢٢]

كما أن المفارقة اللفظية بذلك **"تشتمل على دال واحد ومدلولين اثنين : الأول حرفي ظاهر وجلي، والثاني متعلق بالمغزى، موحى به، خفي . ونستطيع أن نقول هنا : إن المفارقة تشبه الاستعارة في هذه البنية ذات الدلالة الثنائية غير أن المفارقة تشتمل أيضًا على علامة marker توجه انتباه المخاطب نحو التفسير السليم للقول؛ وهي من هنا تختلف عن الاستعارة وهذه السمة هي من صميم بنية المفارقة . فالمفارقة تفرض على المخاطب تفسيرها السليم . إنها تقوم بتبليغ communicatiaرسالة تشتمل على إشارة توضح طبيعة هذه الرسالة – meta communication وعندئذ توازي الرسالة الأصلية رسالة أخرى توضح الطبيعة الصحيحة لمغزى المفارقة "** [٢٣]

ويقول د/محمد العبد : **"ينبغي لنا، لإدراك المفارقة أن ننفذ من الحدث اللغوي أو اللفظي إلى حدث المغزى، من القول إلى مقصد القائل . وفي المرحلة التالية، يترك مقصد القائل تأثيره الذي يصل إليه هنا بواسطة بنائه على المفارقة، في المستمع أو المخاطب "** [٢٤]

ومن أمثلة المفارقة اللفظية **"تلك المفارقة التي تبنى على الطباق أو المقابلة، وفيها تنهض بنية المفارقة على الجمع بين الأضداد فيأتي المبدع بالمتضادات من الألفاظ مجتمعة في بنية واحدة، سواء أكان هذا التضاد بين لفظين كما هو الحال في**

[٢٢] سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٤٤ .
[٢٣] سيزا قاسم، المرجع السابق، ص١٤٤ .
[٢٤] محمد العبد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مرجع سابق، ص ٧٢ .

الطباق، أم بين أكثر من لفظين كما في المقابلة، ويعمل هذا التجاور بين الأضداد على إثارة المتلقي " [٢٥]

ومن أمثلتها ما نجده في مسرحية (مأساة جميلة) حينما استدعت هيئة المحاكمة هندًا كشاهد إثبات والتي تعرضت لأشد أنواع العذاب منذ أن قبض عليها جنود الاحتلال، وكان له وقع باضطراب نفسها وعقلها، فقد تم استدعاؤها من أجل إثبات الحجة على المتهمة (جميلة) والتخلص منها والحكم عليها، ولكن على العكس فقد قامت بنفي ما لُفِّق للمتهمة من اتهامات زائفة، مما بعث ممثل النيابة والرئيس بنعتها بالممثلة والمجنونة، وهذا يشير إلى كيفية إحكام سلطة القضاء حبال الاتهامات الزائفة للتخلص ممن يسبب لهم الخطر .

"ممثل النيابة : لا تأبهوا لصراخها الملتاث، فهي ممثلة

فيرجيه : (بتأثر) لكنها مجنونة حقًا

الرئيس : أجل مجنونة، وممثلة

فيرجيه : مع كل ذلك، فهي عندك عاقلة

لمدى يؤهل رأسها للمقصلة

الرئيس : لنعد إلى الموضوع .. لسنا الآن نبحث رأسها .. " [٢٦]

وتنشأ بنية المفارقة هنا من الجمع بين الأوصاف المتنافرة والمتضادة بين لفظتي (مجنونة) و(عاقلة)، بوصف شخصية (هند) والتي تستخدمها سلطة القضاء حسب أهوائها وتعتبرها عاقلة؛ ولكن على النقيض من ذلك عندما لا تحقق أطماعهم ورغباتهم ينعتها القضاء بالجنون، ويتبدى هذا البعد حينما يُظهِر المحامي (فيرجيه) مدى تناقض

[٢٥] أماني محمد سعد، صورة الحاكم في المسرح الشعري، رسالة دكتوراة بكلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠١٧م، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

[٢٦] عبد الرحمن الشرقاوي، مأساة جميلة، دار المعارف للنشر، ط١٩٦٢،١م ، ص ٣٣٩ .

سلطة القضاء بشخصية (الرئيس) و(ممثل النيابة) باستخدام القانون لما يوافق رغباتهم ويحققها .

وكذلك من أمثلة المفارقة اللفظية تلك المفارقة التي تنشأ من تغيير مجال الاستعمال اللفظي إلى الضد بقصد التهكم، بمعنى **"انتقال اللفظ من حقله الدلالي المعروف له في أصل الاستخدام، إلى حقل دلالي آخر، بحيث يقيم مع لفظ آخر، داخل الاستعمال اللغوي القرآني الخاص، علاقة دلالية جديدة، من نوع التضاد أو التخالف، لغاية انتقادية"**[٢٧]، وهذا الكلام الذي ذكره د/ محمد العبد جاء تعقيبًا على قوله تعالى : **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾**[٢٨].

ومما يمثل تلك المفارقة التي تبرز في مسرحية (محاكمة الزائر الغريب) من خلال الحوار الدائر بين المتنبي الذي يقف مدافعًا عن نفسه أمام المدعي العام فيقول :

"المدعي العام : لا عجبًا أن تقتل موصومًا بالهجو الفاحش حيا أو ميتا
المتنبي : ليتك كنت معي في العودة من آخر رحلات
الشؤم فتلقى نفس مصيري
المدعي العام : ويلك، هذا قذف ستحاكم عنه بعد التهم المنظورة
المتنبي : ما أجمل هذي التهم المجلوة كعروس في ليل
زفاف !!
عددها كي يبتهج الجلادون
لتنال ثواب الدنيا أضعافا
والآخرة الجنة والحور العين
عددها أو فلتأت بحاسوب حتى لا تخطئ
والحاسوب معي إن شئت هدية

[٢٧] محمد العبد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مرجع سابق، ص ٧٣ .
[٢٨] سورة التوبة، الآية رقم (٣) .

هو لا يخطئ أبدًا

من صنع إله يهب القدرة من شاء بغير حساب!

وأنا لا أملك بعد القرطاس وقلمي

إلا هذا الحاسوب " [٢٩]

وتنتج بنية المفارقة هنا من خلال تغيير مجال الاستعمال الدلالي للفظ (يبتهج) فالمعروف أن الابتهاج يعني السرور والفرح وذلك لا يكون إلا بخبر سار، ولكن مع مقارنتها بسياق الجمل التي تليها، تتشكل المفارقة من كون المتنبي يستنكر كم الاتهامات التي يريد المدعي العام إثباتها ضده، من أجل الحكم عليه والتخلص منه، وذلك يكشف عن حيل القضاء الفاسد في تلفيق الاتهامات لمن يخالف عرفهم، وكأن تلك الاتهامات هي مصدر سعادة الجلادين، فسعادتهم تكمن في إحكام تعذيب المتهمين، وبذلك يكشف الكاتب باستخدام المفارقة عن مدى سوء القضاء وفساده .

ومن ذلك أيضا ما نراه في مسرحية (الليلة الأولى بعد الألف) حينما يرى د/جابر مدى جور القضاء ضد المتنبي، واستمتاع العلوي (الجلاد) والقضاء بتعذيبه .

"أحمد : (يدخل بثبات ووراءه ابن علي ضاربًا بسوطه)

حبك للتعذيب يفوق حدود العقل

العلوي : ماذا تقصد يا أفاق ؟

علام : (للمتنبي) دعه ..

رجل سادي من يومه ..

أحمد : (مستفهما) ماذا ؟

د/ جابر : هم ناس يصلون لكامل لذتهم بالتعذيب

يعني ..

[٢٩] حسن فتح الباب، محاكمة الزائر الغريب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٧م، ص ٦٨ .

يضربك .. فيسعد

يتلوى من فرط سعادته ...

حين يراك تبث لواعج ألمك " [٣٠]

ومن أمثلة المفارقة اللفظية أيضا مفارقة التكرار المخالف للسياق، ومن أمثلتها في مسرحية (محاكمة المتنبي) الحديث الذي دار بين المتنبي والحاكم كافور إثر معرفته بكتابة الشاعر فيما يسميه كافور بمنشورات ثورية لتحريض الشعب ضده .

"كافور : مرحى

أنت هنا يا شاعر

كيف الحال

المتنبي : أتقلب في أحضان نعيمك يا مولاي

كافور : (مبتسمًا، وناظرًا إلى الأميرة)

أتقلب في أحضان نعيمك يا مولاي

قول .. شاف .. واف ..

فعلا يا شاعر

تتقلب في أحضان نعيمي

أو ليس كذلك يا مولاتي ؟!.. " [٣١]

وتنهض بنية المفارقة هنا من تكرار جملة (**أتقلب في أحضان نعيمك يا مولاي**) وقصد بها مقاصد عدة، فحينما أطلقها المتنبي كرد طبيعي لسؤال كافور، قام كافور بتكرارها ناظرا إلى الأميرة؛ ظنا منه أن الأميرة والمتنبي تجمعهما علاقة عاطفية، وأن هذا هو مقصد المتنبي مما دفعه إلى تكرارها مرة أخرى؛ ولكن بصيغة التهكم التي تدين الأميرة والمتنبي، وذلك يكشف النقاب عن واحد من الأسباب التي يحيكها كافور للتخلص من المتنبي .

[٣٠] صفاء البيلي، الليلة الأولى بعد الألف، هيئة قصور الثقافة المصرية، ٢٠٠٧م ، ص ٦٥ - ٦٦ .

[٣١] أنس داود، محاكمة المتنبي، دار الوحدة، (نص من كتاب الخماسية من السقوط إلى الثورة)، د.ت ، ص ١٤١ .

وقد تتشكل المفارقة اللفظية نتيجة التحوير في نطق اللفظ، كما نجد في مسرحية (محاكمة رجل مجهول) فمن خلال الحديث الدائر بين المتهم والقاضي أثناء المحاكمة تنعكس شخصية القاضي في استخدامه سلطته لاضطهاد المثقفين .

"القاضي : (ثم للمتهم) فلتخبرنا يا سيد ماذا كنت تبيت من نية،

إذ تجمع هذا المال الطائل في بيتك ؟

المتهم : لم أجمع مالا، بل كتبا

القاضي : هذا مفهوم طبعا ..

هي أموال في شكل كتب !

المتهم : بل أفكار في شكل كتب

القاضي : لن نختلف الآن على الأسماء

تاجر كتب أو تاجر أفكار .. لا فرق

المتهم : لست بتاجر أفكار

القاضي : في وسعك أن تنكر هذا

المتهم : أنا أجمعها كيما أقرأ ما فيها

القاضي : تعترف إذن ؟

المتهم : أعترف بماذا ؟

القاضي : أنك تقرأ ؟

المتهم : هل هذا جرم ؟

القاضي : هل أنت (مسقف) ؟

المتهم : لا، بل أبغى أن أتثقف

القاضي : لا فرق . الآن عرفنا

عضو اليسار : (يميل فيهمس كلمات في أذن القاضي)

القاضي : (لعضو اليسار) (يتسقف) يعني يتوارى
في الأمكنة المسقوفة، يلغو في الأوضاع
ويهمس حتى لا تسمعه الجدران " [٣٢]

وتنهض بنية المفارقة هنا من خلال التنافر والتناقض في الحديث بين المتهم والقاضي، إذ يلاحظ القارئ كيفية نطق القاضي للفظ (مثقف) بحرف السين وكذلك وضعها بين علامتي تنصيص، من خلال سؤاله للمتهم، ومن ثم يلتفت لعضو اليسار لإخباره بتفسير معناها، فتلك الكلمات التي نطقها القاضي توحي بسخافة شخصية القاضي واستغلاله منصبه للسخرية من طبقة المثقفين، كما يعكس الحالة المريرة التي أصبح عليها المثقفون، إذ أصبح من يطلب العلم والمعرفة متهما بقلب بقلب النظام وتقويض السلطات .

ثانيًا : مفارقة الموقف :

تعتمد مفارقة الموقف على الأحداث، وكذلك الشخصية التي تقع ضحية المفارقة، على عكس المفارقة اللفظية، فتحقيق مفارقة الموقف **"يعتمد أساسا على عنصر لا يرى الشفرة ولا يفهم التورية ولا يحس بالمفارقات ولا يدرك التناقض بين المظهر والحقيقة . ومن ثم يصبح ضحية المفارقة ويخلق عن طريق براءته وسذاجته مفارقة الموقف . هذه الشخصية هي كبش الفداء الذي يُضحى به الكاتب حتى لا يكون هو نفسه ضحية المفارقة . وعلى الرغم من أن القارئ قد يكون في موقف موازٍ في قوته لموقف الكاتب إلا أن هذه الضحية تُذكر الطرفين بأنهما في الحقيقة جزء لا يتجزأ من المفارقات "** [٣٣].

وتنقسم المفارقة الموقفية بدورها إلى نوعين هما : (المفارقة الدرامية[٣٤] _ مفارقة الأحداث) وقد زخرت النصوص المسرحية بمفارقة الأحداث على النقيض تمام من النوع الأول .

---

[٣٢] عز الدين إسماعيل، محاكمة رجل مجهول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٤٢ – ٤٣ – ٤٤ .
[٣٣] سامية محرز، المفارقة عند جيمز وأميل حبيبي، مجلة عيون المقالات، ١٩٨٦م، ع٢، ص١٠٧ .
[٣٤] وتجدر الإشارة إلى أن المفارقة الدرامية ترتكز على أن **"الضحية غير واعٍ أبدا أن حقيقة الأمور تختلف تماما عما يحسبها عليه "**، للمزيد انظر :سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها)، مرجع سابق،

مفارقة الأحداث :

تنتج مفارقة الأحداث حينما يحدث تعارض وتناقض في بناء الأحداث داخل النص، وفيها **"يعبر الضحية صراحة عن اعتماده على المستقبل بدرجة تزيد أو تنقص، لكن تطورا غير منتظر في الأحداث يقلب ويربك خططه وتوقعاته وآماله ومخاوفه أو رغباته، ...، ولكي يصل هدفا بعينه يتبع دون علم منه تلك الخطوات التي تؤدي به بعيدا عن الهدف؛ وتكون الوسيلة التي يتجنب بها شيئا هي الوسيلة التي توصله إلى ذلك الشيء"** [٣٥]

وتتمثل تلك المفارقة في مسرحية (مأساة جميلة) في شخصية (هند) التي دفعت بها هيئة المحاكمة بالتعاون مع ممثل النيابة كشاهدة إثبات بعدما أخذت أقوالها في محضر التحقيق تحت وطأة التعذيب ضد (جميلة) المتهمة .

"ممثل النيابة : فلتخرجوها .. هذه المجنونة

ضابط من المظليين : (ضاحكا) المجنونة الحسناء

الرئيس : يكفي الذي قالته في التحقيق، فاقرأ محضر التحقيق

كيف تشاء

(يشير بيده لضابط فيشدها إلى الخلف .. وهي تنتفض وقد ارتفع صوتها بنوع من التشنج وهي تنظر إلى جميلة، دائما .. الضابط يشدها ولكنها تتشبث بمكانها)

هند : لا ... إن صاحبتي جميلة طاهرة هي بائسة

هي لم تكن تدري بشيء

لم يقدروا أبدا على إيذائها في عرضها

ص ٨٧، وتبدو المفارقة الدرامية **"أبلغ أثرا عندما لا يكون الجمهور أو القارئ حسب، بل شخص آخر في التمثيلية أو القصة، على وعي بجهل الضحية "، وتلك المفارقة لم أعثر على نماذج وأمثلة لها في النصوص المسرحية التي عرضت لها الدراسة، للمزيد انظر :** سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها)، السابق نفسه، ص ٩٣ .

[٣٥] سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها)، نفسه، ص ٩٤ .

ليست بجيفة تتساقط الغربان فوق حطامها

الله أكبر ! هذا النداء الحر يقبل من بعيد

يتسلق الجدران في زحف مظفر

الله أكبر !! هذا النداء الحر يدفع موكب الفجر الجديد

ليضيء أعماقي التي غشى الظلام كهوفها

(ضابط آخر يزحزحها الآن من مكانها)

الله أكبر ! إني لأقسم أن صاحبتي جميلة ...

وارحمتا لك يا جميلة لم تقتلي أحدًا ولكن عذبوكِ

وكتمت حبك في الضلوع فشوهوك لكنهم لم يقهروك " [٣٦]

وتبرز المفارقة في استخدام أقوال الشاهدة (هند) في محضر التحقيق، والتي تم أخذها تحت وطأة التعذيب الشديد، إلا أن الأحداث تأتي على غير ما هو متوقع، فعلى النقيض تماما تنفي الشاهدة كل ما ورد في محضر التعذيب، وحينما انهارت الخطة التي رسمها الرئيس وممثل النيابة قاما باتهامها بالجنون، وقد كشفت المفارقة هنا عن مدى سوء أخلاق هيئة القضاء وفسادها .

ونجد هذا اللون من المفارقة أيضا في مسرحية (محاكمة الزائر الغريب) في شخصية (المتنبي) المتهم الزائر الذي عاد من الماضي؛ ليلم الشمل المتفرق، بعدما تفشى الفساد والظلم والجهل بين الشعوب العربية، وتفرق شملهم، فيجد نفسه مقدما لمحاكمة جنائية معدة بالاتهامات والأدلة الزائفة للتخلص منه، إلا أنه أثناء محاكمته يحدث اضطراب في قاعة المحكمة، ويتدافع الجميع متخبطين، فينتهز المتنبي الفرصة فيولي هاربا في قيوده من أجل الذهاب للبرلمان؛ ليسلم نفسه طواعية؛ ليحاكمه ممثلو الشعب سياسيا بعد أن حوكم جنائيا؛ لعله يجد الإنصاف والعدل لديهم .

[٣٦] عبد الرحمن الشرقاوي، مأساة جميلة، مصدر سابق، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ .

"المتنبي : ها قد جئت طواعية لا جبر !

عليّ ألتمس لديكم روح الإنصاف

ما دمتم – فيما قالوا – نوابا للشعب

وأنا من سجناء الرأي

رئيس البرلمان : فكوا عنه القيد

ودعوه يستلم الركن

ركن المذبح

المتنبي : الويل لكم .. هل هذا مجزر ؟

سلمني السيف إلى السكين

ونجوت من الذبح على أيدي الشرطة

كي يذبحني صناع القانون !! " [٣٧]

وتتشكل المفارقة هنا من تناقض الأحداث بين ما توقع المتنبي حدوثه بإنصاف ممثلي الشعب والبرلمان له، بعدما تعرض للظلم والتلفيق الواضح أثناء محاكمته جنائيا؛ ولكن على عكس المتوقع يُفاجأ بالمصير نفسه، بل وأسوأ، فقد أصدر البرلمان قرارا بطرد المتنبي خارج حدود الدول العربية كلها، ومن ثم تم العثور عليه قتيلا في آخر نقطة من هذه الحدود، وقد كشفت المفارقة هنا أيضا عن استشراء الفساد في االسلطة والقضاء واستخدامهم كوسائل من خلالها يتم التخلص ممن تسول له نفسه الإصلاح .

كما تلوح مفارقة أخرى بها سخرية في قول (**رئيس البرلمان**) : **"دعوه يستلم الركن، ركن المذبح "**، لأن تعبير **(يستلم الركن)** هو أن يلمس الحاج الحجر الأسود ويقبله؛ ولكنه جعل التعبير هنا للمذبح الذي سيتم قتله عليه، وفي ذلك كشف حاسم لنوايا القضاء الخبيثة ضد المتهم.

[٣٧] حسن فتح الباب، محاكمة الزائر الغريب، مصدر سابق، ص ٦٩ – ٧٠ .

ثالثًا : مفارقة الشخصيات :

وتتمثل مفارقة الشخصيات في تناقض أفعال الشخصية وتنافر أقوالها التي تنبع منها مثل:

أ- مفارقة تناقض الشخصية :

فيها تصدر الشخصية سلوكيات وآراء وأفعالًا مضادة ومنافرة لأقوالها ومسلكها ، إذ **"يبنى التضاد في هذا النوع، على أساس التعارض بين موقف الضحية أو مفهومها للأشياء أو مسلكها، وهو عادة غريب وخاطئ ومثار انتقاد، وما يجب أن يكون عليه الأمر وكلما بعد الدافع الظاهري المحرك لموقف الضحية وسلوكها عن حقيقة الأمر ومداره، اشتد التعارض وشحذت المفارقة. إننا إذا رأينا الضحية، أو إحدى الشخصيات، تسلك سلوكا شنيعا، ثم تدعي أنها شخصية نبيلة، فإن التناقض بين الفعل أو القول أو السلوك، وبين التشخيص الفعلي، يشير إلى المفارقة"**[٣٨] .

ومن أمثلة ذلك النوع من المفارقة ما نجده في مسرحية "شهريار " في شخصية (القاضي) الذي يحضره (شهريار) إثر اكتشافه خيانة شهرزاد له مع العبد مسعود، مما دفعه لقتله، والاستعانة بالقاضي لمساعدته في تلفيق اتهامات محكمة للمقتول وشهرزاد أمام عامة الناس؛ حتى لا يفضح أمره أمامهم .

"شهرزاد : لكني في الليل ..

لا يرضيني أن أمسى عرشا حجريا

أو طبقا زاد عن الحاجة فوق المائدة الملكية

لا أرضى أن أمسى سيفا .. أو مرسوما

أو أوسمة متهرئة فوق الصدر

(تتنهد بشدة)

لكني أرضى أن أمسى امرأة تبغي رجلا

أرضاه أن يمسى رجلا يبغى امرأة تملك

[٣٨] محمد العبد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مرجع سابق، ص ١٦٥ .

سحرا عذبا
(تبكي وتخفي وجهها في يديها .. يقوم القاضي من جلسته صائحا)
القاضي : إني في صفك يا سيدتي
من حقك أن يتركك السلطان ..
أو يرعاك
أن ينتبه أنك في القصر امرأة تنتظر مساء ما شرعه الخالق " [٣٩]

وتتجلى المفارقة هنا في الكشف عن نية القاضي المخالفة والمتعارضة مع ما سيتبعها من أفعال، فقد استدعى القاضي شهرزاد ليس لاستماع أقوالها وكشف براءتها مما هو منسوب إليها، ولكنه استخدم أقوالها في إتقان حيثياته، وإيجاد حكم يوافق نوايا شهريار .

"شهرزاد : هل صدق أحد منكم ما يفعله القاضي
سهر القاضي ليلته يتقن حيثياته
جاء بمرسوم القصر
أن السلطان العادل .. لا يرضى بخيانات رعاياه
حتى لو كان الخائن داخل قصره
ولقد خانت سيدة القصر
إذ أفشت أسرار المملكة لمن عادى السلطان
وعدالة مولانا واحدة .. في القصر ..
وخارج قصره " [٤٠]

ب- <u>مفارقة تظاهر الشخصية (الاستخفاف بالذات) :</u>

فيها يتخفى صاحب المفارقة بقناع الجهل، في حين أنه على النقيض تماما من ذلك؛ فصاحب المفارقة **"يحمل نفسه إلى المسرح، كما نقول، في شخص امرئ جاهل،**

[٣٩] أحمد سويلم، شهريار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص١٠٩ .
[٤٠] أحمد سويلم، شهريار، المصدر السابق، ص ١١٥ .

سريع التصديق، جاد مفرط الحماس "[٤١] . كما نجد أيضا صاحب مفارقة الاستخفاف بالذات **"ينزل من قدر نفسه، ويكون ما يعطيه من انطباع عن نفسه جزءا من وسيلة المفارقة لديه "**[٤٢] .

ونرى ذلك اللون من المفارقة في مسرحية (محاكمة رجل مجهول) في شخصية (المتهم) الذي يصعد إلى المسرح متظاهرا بالجهل لما يدور حوله من أفعال، ومصطنعا الجهل بمعاني المصطلحات التي يتلفظها الجمهور أمامه (الرومانتيكي – جاسوس – خائن – مجرم - محتال)، وأنه أتى لهذا المقام ليعرف، ومن خلال الجدال الدائر بين المتهم والجمهور تلوح أمام المتلقي حقيقة علم المتهم التام بما يدور حوله من الأمور، وأن مجادلاته تتعمد إظهار الجهل من أجل فضح الجاهلين من حولها، ولتجلي أمام المتلقي الكثير من سلبيات الواقع الذي يعاصره، إذ أصبحت المعرفة والتثقف جريمة يُحاسب عليها، ويتضح ذلك من الحوار التالي :

"الرجل : هذا أمر لا يعنيك

المتهم : بل يعنيني أن أعرف

الرجل : هذا أنت تحاول أن تتسلل ...

أن تعرف ما يعرفه الآلهة الأفذاذ .

هل تدرك ماذا يعني إلحاحك هذا ؟

المتهم : أنا لم أدرك شيئا .

الرجل : منذ قديم حاول إنسان مأفون مثلك أن يتمرد،

أن يسترق السمع إلى ما يتداوله الآلهة الأفذاذ

فتسلل حتى سرق الكلمات – الأسرار

وانطلق يشيع الفوضى بين الناس بهذي الكلمات،

إذ أنزل كل المثل العليا القدسية

[٤١] سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها)، مرجع سابق، ص ٨١ .
[٤٢] سي ميويك، نفسه، ص ٨١ – ٨٢ .

لتكون مشاعا فوق الأرض وبين الناس

هل تدري ماذا حاق به ؟

فلقد دمر نفسه

إذ أمر الآلهة الأفذاذ به أن يوثق بالأغلال

أن يسجن سجنا أبديا " [٤٣]

ومن خلال الحوار السابق تتكشف أمام المتلقي حقيقة ما آل إليه المجتمع من تفشي الجهل بينهم، فالمعرفة والعلم هما حقان مقتصران فقط للآلهة الأفذاذ، والسلطة الحاكمة فقط لا غير، ولا حق لأي شخص آخر أن يطلب المعرفة، فمن يحاول طلبها يعرض نفسه لسيل من الاتهامات، والسجن الأبدي .

كما تتجلى المفارقة أيضا في عقد محاكمة صورية للمتهم، حيث تأتي أقوالها مناقضة لما هو على أرض الواقع، فلم تسمح سلطة القضاء المتهم حق ندب من يدافع عنه، ومما يثير العجب أن (المتهم) كما عرفه المبدع في عنوان النص أنه رجل مجهول الهوية فلا يعرف أحد عنه شيئا، فكيف إذ أعدت ذلك السيل من الاتهامات الملفقة له ؟! وهنا تزيد حدة المفارقة فالاتهامات معدة مسبقًا، وذلك يظهر ما آلت إليه المحاكمات في تلك الفترة، ويكشف النقاب عن اضطهاد القضاء والسلطة لفئة المثقفين، فمن يطلب المعرفة عندهم خائن ومجرم يهدد نظامهم، لذا لا بد التخلص منه .

"القاضي : بل نحن نجلك، نحترمك .

عضو اليمين : طبعا !

عضو اليسار : لا شك !

القاضي : أنت حصيف فيما يبدو

عضو اليمين : هذا ظاهر !

[٤٣] عز الدين إسماعيل، محاكمة رجل مجهول، مصدر سابق، ص ٢٣ – ٢٤ .

القاضي : ولهذا لا تبغي أن تندب من يدفع عنك التهمة .

فالعاقل من ...

رجل : (ينهض من بين صفوف المشاهدين – مقاطعا)

لو تسمح لي !

أنا أندب نفسي كي أدفع عن هذا المتهم المسكين

الفاضي : شكرا، شكرا، اجلس

وسندعوك إذا ما احتاج الأمر إليك .

(ثم للمتهم) كنت أقول :

أن العاقل من تتجاوز رؤيته موطئ قدميه

من يبصر أبعد من ظله

عندئذ يبدو الحق جليا في عينيه فيرضخ له،

عندئذ يدرك أن اللف أو الدوران

لن يجديه شيئا .

ولهذا أنت حصيف يا سيد

إذ ترفض أن يتولى دفع التهمة عنك

من سوف يعرقل سير الإجراءات فحسب . " [٤٤]

رابعًا : المفارقة التصويرية :

يعرف د/ علي عشري زايد المفارقة التصويرية بأنها **"تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض "** [٤٥]، وهذا التناقض قد يمتد ليشمل النص المسرحي برمته، فيقوم كله على مفارقة تصويرية

[٤٤] عز الدين إسماعيل، محاكمة رجل مجهول، المصدر السابق، ص ٣٣ – ٣٤ .

[٤٥] علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، ط٤ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ص ١٣٠ .

كبيرة[٤٦]، كما أن هذا التناقض **"في أبرز صوره فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف، والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض"**[٤٧]

ومن أمثلة ذلك اللون ما نراه في مسرحية (الجنرال) حيث قدمت الكاتبة صورتين متناقضتين لمحاكمتين جائرتين : فالصورة الأولى تمثل (سليمان الحلبي) ذاك الطالب الذي ارتحل من بلده حلب؛ قاصدًا الأزهر الشريف بمصر من أجل طلب العلم، وقد ضاق الشعب بما يرتكبه الاحتلال الفرنسي من جرائم ظلم وقهر، وضرائب تُجبى كل صباح ومساء، بالإضافة إلى انتشار الفقر ونهب الأقوات، مما دفعه ذلك للشعور بالقهر والظلم إلى الدفاع عن تلك الأرض السليبة ضد الاحتلال الغاشم .

سليمان : لا بد وأن أفعل شيئا ..

لابد ..

علمني شيخي في الكُتَّاب

أن جهاد النفس ..

يفوق جميع الأعمال

وجهاد الكفرة

أعظم ما يتقرب به إنسان من ربه

وأنا منذور للطاعة

لحب الله وحب رسوله

لن أترك هذا الشعب المسكين

يتمزق كل صباح ومساء

[٤٦] انظر : علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، المرجع السابق (بتصرف) ، ص١٣٠ .
[٤٧] علي عشري زايد، نفسه، ص١٣٠ .

بأيدي المحتل الغاشم

لا أحد يحس الآلام

لا أحد يئن من اللطمة إلا خد طالته

فأردته قتيلا ..

شتان .. شتان ما بين الظالم والمظلوم "[٤٨]

والصورة الثانية تتمثل في (يعقوب) الذي نشأ بملوي بأسيوط، وكان يعمل جابيًا قاسيًا، يرفع السوط وينزل به في الهواء، وعلى أجساد الناس، فقد كان خائنا بلده وكان ولاؤه الأوحد لفرنسا والاحتلال الفرنسي؛ ومن شدة حبه لهم حينما ارتحلت الحملة من مصر ذهب ليقضي بقية عمره هناك تاركا بلده مصر .

"يعقوب : أيها الرعاع ؟

(أصوات صراخ وتضرع متداخلة)

أصوات : الرحمة يا معلم يعقوب

الرحمة

يعقوب : لا رحمة معكم بعد اليوم

أولاد أفاع حقًا !

(لمن معه) خذوا ما لديهم من بضائع وفاء لديونهم

وإن لم تفِ .. فالتأتوا بما تجدوه

أبناءهم .. زوجاتهم، وبناتهم

كله مفيد .. مفيد (يزداد الصراخ من حوله) "[٤٩]

وتتشكل المفارقة التصويرية هنا في أن يعقوب كان خائنا لوطنه الأم مصر في سبيل تحقيق أطماعه الشخصية وطموحاته، في حين على النقيض نجد سليمان رغم أنه

[٤٨] صفاء البيلي، الجنرال، منشور بدولة الإمارات بالجائزة العربية للإبداع الثقافي الألسكو، دورة ٢٠١٤م، ص ٥٧ ــ ٥٨ .

[٤٩] صفاء البيلي، الجنرال، المصدر السابق، ص ٥١ .

لم يكن مصريا إلا أنه كان يرى أن جهاد المحتل أمر أوجبه الله عليه حتى وإن كان دفاعه عن أرض غير موطن الأصلي .

وتبلغ المفارقة التصويرية مداها في عقد محاكمتين جائرتين متناقضتين، فقد تشكلت محاكمة (سليمان الحلبي) من قضاة ودفاع واتهام فرنسيين، أزهقوا روحه، وتم الحكم عليه بحرق كفّه ووضعه فوق الخازوق؛ حتى تنهش كل طيور سموات الدنيا من رأسه، واعتبروه مجرم حرب، في حين أسفرت محاكمة (يعقوب) عن اعتباره بطلًا قوميًّا، فقد صنعوا من يعقوب أسطورة .

"الجبرتي : من عرفه لم ينسه أبدا
بأدلة القادة الفرنسيس
حبا بحب ليس أقل
ولما جاء الأجل ومات
وعرف الجنرال أدموندس
لم يرض أن تُلقى جثته في البحر
واحتفظ بها لاسكاريس حتى عاد إلى وطنه
وهناك ...
بفرنسا العظمى
بلد الحرية والنور
دفنوه بجانب أعظم قادتهم
تكريما له
ولعظيم ولائه
كان ولاؤه لفرنسا ..
ضد الشعب
في حين
ظل سليمان الحلبي
فوق الخازوق
تأكل كل طيور الساحة من رأسه
وعيناه تطلان بنظرة يأس

وعتاب ..
نعم .. عتاب يفضح أعداء الوطن المكلوم "[٥٠]

وفي مسرحية (مأساة الحلاج) تلوح المفارقة التصويرية في جمع المبدع لصورتين متناقضتين من القضاة، وتتمثل الأولى في شخصية (ابن سريج) القاضي الذي يبغى تطبيق العدل، وأما الأخرى تتمثل في شخصيتي (أبو عمر) و(ابن سليمان) القاضيين اللذين يحكمان باسم السلطان والسلطة الحاكمة حتى وإن ظلما، فكل ما يهتمان به هو رضا السلطة الحاكمة عنهما، ويتضح ذلك من الحوار الدائر بينهم :

"ابن سريج : هل خصوا هذا المجلس بالظلم
قل لي في لفظ واضح
هل نحن قضاة باسم الله
أم باسم السلطان ؟
أبو عمر : بل قل أنت
أو تنكر أن السلطان خليفة رب الأكوان على الأكوان ؟
ابن سريج : هذا السلطان العادل ...
أبو عمر : أو تبغي أن تدفع عن مولانا صفة العدل ؟
ابن سريج : بل أرجو أن أثبتها له
ليس العدل تراثا يتلقاه الأحياء عن الموتى
أو شارة حكم تلحق باسم السلطان إذا ولى الأمر
كعمامته أو سيفه
مات الملك العادل
عاش الملك العادل
العدل مواقف
العدل سؤال أبدي يطرح كل هنيهه
فإذا ألهمت الرد، تشكل في كلمات أخرى
وتولد عنه سؤال آخر، يبغى ردا
العدل حوار لا يتوقف
بين السلطان وسلطانه " [٥١]

[٥٠] صفاء البيلي، الجنرال، المصدر السابق، ص ٧٨ .

ويكشف عنصر المفارقة عن مدى التناقض الواضح بين صورتي القاضي العادل والظالم، وهذا يقوم بتعرية القضاة وصفاتهم أمام المتلقي .

الخاتمة :

من خلال ما تقدم يمكن القول إن المفارقة لها أثر كبير في الكشف عن مكنونات النص المسرحي، وتوجيه قراءته بشكل سليم، يسهل على المتلقي الكشف عن المتناقضات، التي لها دور بالغ في بناء النص، كما أنها تكسب العمل بعدا جماليا لما يجول بنفس المبدع .

كما تكمن أهمية المفارقة في اعتبارها أداة للتعبير عن الأوضاع السياسية والاجتماعية، هذا بالإضافة إلى ما تحمله من مكنونات متناقضة، تعين على إبراز عناصر القضاء (المتهم – القاضي – المحامي – المدعي – ممثل النيابة) وغيرهم من شخصيات القضاء، ولهذا باستطاعتنا القول بأنها أسهمت بشكل كبير في الكشف عما يدور في أعماق شخصيات المحاكمات وتعريتها بشكل كبير أمام المتلقي، كما أنها أسفرت عن نتائج عديدة :

- توظيف المبدعين للشخصيات التراثية بشخصية (المتهم) في غالبية النصوص المسرحية المختارة كان ناجحا وموفقا ومكنهم من إيصال رؤاهم الفكرية والمجتمعية داخل نصوصهم المسرحية .
- أسهمت المفارقة في الكشف عن صورتين للقضاء العادل والجائر .
- أبرزت الدراسة الحيل التي استخدمها القضاة في إصدار أحكامهم ضد المتهمين.
- استطاعت الدراسة كشف النقاب عن معاناة طبقة المثقفين ورجال الدين والمواطنين في مواجهة السلطة والقضاء .
- أسقطت الدراسة الضوء أيضا على مدى التناقض الموسومة به شخصيات القضاء.
- لم تأتِ المفارقة الدرامية في جميع النصوص التي عرضت لها الدراسة، وذلك ينم عن وعي كل شخصيات المحاكمة وعناصرها بما يدور حولهم من الأحداث.

[٥١] صلاح عبد الصبور، مأساة الحلاج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧م، ص ٩٩ – ١٠٠ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المصادر :

١. أحمد سويلم، شهريار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م .
٢. أنس داود، محاكمة المتنبي، دار الوحدة، (نص من كتاب الخماسية من السقوط إلى الثورة)، د.ت
٣. حسن فتح الباب، محاكمة الزائر الغريب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٧م.
٤. شوقي خميس، سندباد(مدينة المقنعين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
٥. صفاء البيلي، الجنرال، منشور بدولة الإمارات بالجائزة العربية للإبداع الثقافي الألسكو، دورة ٢٠١٤م.
٦. صفاء البيلي، الليلة الأولى بعد الألف، هيئة قصور الثقافة المصرية، ٢٠٠٧م .
٧. صلاح عبد الصبور، مأساة الحلاج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧م .
٨. عبد الرحمن الشرقاوي، مأساة جميلة، ط١، دار المعارف للنشر، ١٩٦٢م .
٩. عبد المنعم محمد العقبي، ضمير الغائب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م .
١٠. عز الدين اسماعيل، محاكمة رجل مجهول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م .
١١. فاروق جويدة، دماء على ستار الكعبة، دار غريب للطباعة، القاهرة،١٩٨٠م .
١٢. محمد يوسف، محاكمة زرقاء اليمامة، ١٩٨٩م .

ثالثا : المراجع العربية :

١. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤ (١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م) .
٢. أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسن(ت ٣٩٥ ه)، مقاييس اللغة، ت(عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٣٩٩ه – ١٩٧٩م).

٣. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١(١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م)، عالم الكتب، ج٣ .
٤. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، ط٤، (١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م) .
٥. محمد العبد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، دار الفكر العربي، ط١، (١٤١٥ه – ١٩٩٤م) .
٦. محمد عثمان الخشت، الشاعر حامد طاهر بأقلام هؤلاء، تصدير/عبد المنعم تليمه، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١ه)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، مج ٥.
٨. ناصر يوسف إبراهيم، المفارقة في الشعر العربي الحديث (محمود درويش، أمل دنقل، سعدي يوسف نموذجا)، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م.

رابعا : المراجع المترجمة :

- سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها)، ترجمة (عبد الواحد لؤلؤة)، مج٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م .

خامسا : الأبحاث والمقالات والدوريات :

١. سامية محرز، المفارقة عند جيمز وأميل حبيبي، مجلة عيون المقالات، (١٩٨٦م) .
٢. سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثاني، ع٢، يناير – مارس، ١٩٨٢م .
٣. نبيلة إبراهيم، المفارقة، ت (١ سبتمبر ١٩٨٧م)، رقم العدد (٣ – ٤).
٤. الهاشمي، أثير محسن، (٢٠١٣م)، آلية المفارقة، تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، ع١٢.